تاريخ وهوية ووطن

مكتبة الكسليك

هيثم الشاعر

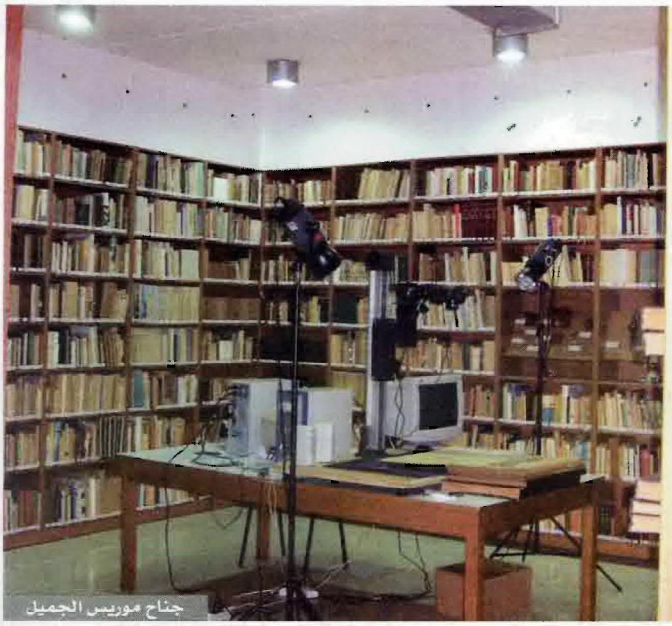
جناح موريس الجميل

هي إبنة جامعة الروح القدس الكسليك، حفيدة الرهبانية اللبنانية المارونيّة، تراث يجمع بين ما كتبه أهل الأرض وما سطّره أبناء الملكوت. خليّة عمل من عشرات الموظفين الذين سخّروا حياتهم في سبيل العلم والحفاظ على التراث الوطني والمسيحي المشرقي عموماً والماروني بصورة خاصة. خصّنا بالحديث عنها المدير العام للمكتبة والمؤرّخ الأب الدكتور جوزف مكرزل.

يبدأ الأب مكرزل نهاره قبل صياح الديك وينهي ليله منكباً على حفظ تراث أجداده، متّبعاً استراتيجية جمع أكبر قدر ممكن من المنشورات القديمة والحديثة عن شعبه. يقول: معرفة هويتنا هي الأساس في الانطلاق الى التحاور مع الآخر. وفي نظره المكتبة هي معبر الطلاب الطبيعي الى العلم والثقافة، وهو لا يدّعي تفوّق المكتبة على غيرها من المكتبات الجامعية والوطنية في الحقول كافة، لكنه يؤكّد أنّها رمز للوطن وللمسيحيين في الحفاظ على التراث الوطني والمسيحي المشرقي والماروني بصورة خاصة، وهذا ما يميّز الرهبانية والجامعة.

ويترك الأب مكرزل الكلام للموظفين في شرح أهمية الجامعة ودورها لأنه يعشق الكواليس وصناعة القرار خلف الستار وعمله هذا هو خير دليل على ذلك. هو يلملم تاريخ مارونيته ابنة الجبل التي «تختلف بدورها عن مارونية حلب وقبرص وسائر الطوائف المسيحية الأخرى في لبنان وفي الشرق»، ويؤمن بهذه المارونية التي يؤرشفها ويحفظها، ويجول العالم لنقل ما أمكن من هذا التراث من بريطانيا وفرنسا والفاتيكان، ويجمع صور القرية اللبنانية القديمة لعلّها إن حفظت في ذاكرة الوطن، تعود وتحيا من جديد.

تحقيقنا يركّز على المشاغل الأساسية في حفظ التراث الوطني والمسيحي. المرحلة الأولى تبدأ في الحفاظ على هذا الارث في مشغل التراث الكتابي، ودوره حفظ المخطوطات المهمّة التي تعود الى ما قبل عام ١٨٨٠ وذلك حسب أهميّتها. مديرة القسم إيسّين الجميّل حدّثتنا عن دور المشغل في جمع المخطوطات الرهبانية من جميع الأديار التابعة للرهبانية اللبنانية المارونية ومن ثم مخطوطات أخرى من الكنائس والمؤسسات والأفراد، مما أغنى المكتبة بالمخطوطات والمنشورات التي تعود خصوصاً الى أواخر القرن السادس عشر.

بعد جمع المخطوطات، وإرسالها الى المشغل، تبدأ عملية التعقيم التي لا تقل مدّتها عن ٤٨ ساعة وتستمر شهرين. وعملية التعقيم هذه، تعتمد على وضع المخطوط في آلة مخصّصة للتعقيم مستوردة من الخارج، فيتم عزل الحشرات التي تضرّ بالكتاب ومن ثم قتلها عبر غازات تساعد أيضاً على ايقاف التلف والحد من انتشاره. عملية التعقيم هذه عملية دقيقة يتم خلالها تعقيم الأوراق ورقة تلو ورقة، ومن ثم العمل على غلاف الكتاب. هذه العملية لا تنتهي الاّ بازالة الرطوبة عن الأوراق بواسطة آلات حديثة، وتقنيات ذات معايير عالمية، ولكل ماكينة دورها وطبعاً خبرة فريق العمل هي الأساس. من أهم المجموعات التي تولاّها المشغل، اعادة تعقيم وترميم مجموعات جبران خليل جبران، واليا ابو شبكة، والمجموعة الخاصة بالجنرال أدونيس نعمة.

ولا شك في أن العملية مكلفة، ولهذا تقوم المكتبة بقرعة سنوية على مجموعة من المخطوطات والمجموعات المقدّمة من قبل اصحابها والفائز يقدّم اليه العمل المجاني في الحفاظ على مجموعته وترميمها. وأي لبناني في لبنان أو خارجه، في امكانه أن يقدّم مجموعة معينة لاعادة ترميمها وحفظها، وليس من منازع لهذا المشغل في لبنان بخبرة أفراده وحرصهم على العمل الذي يقومون به.

بعد الانتهاء من التعقيم والترميم لكل ورقة بل لكل كلمة وحرف، تحفظ المجموعات في صناديق تصمّم خصيصاً من مواد طبيعية حافظة وتودع في أماكن معدة لحفظها، أو تسلّم الى أصحابها في الوقت الذي يشاؤون إن لم يرغبوا في ايداعها في هذه الأماكن، وإن ارادوا اعادتها تقدّم اليهم المشورات العلمية للحفاظ عليها ومنعها من التلف.

هذه المرحلة لا تنتهي بوضع المخطوطات في مقبرة التاريخ، إذ في انتظارها مشغل التصوير الذي يقول الدكتور جورج حبشي أنّه المشغل المحيي لتلك المخطوطات لاعادتها الى النور والحياة. فيصوّر كل مخطوط وكل ورقة عبر ماكينات تصوير خاصة لهذه الغاية، وتحفظ في أقراص مدمجة وتؤرشف، وهناك مشروع مستقبلي لوضع كل المعلومات في متناول الجميع لا سيما على الانترنت، فتصبح تلك المجموعات مادة في متناول الراغبين.

بعد التعقيم والترميم والحفظ والتصوير، يأتي موعد تلك المخطوطات لا سيما القيّمة والنادرة منها، مع غرفتين مجهّزتين بأحدث أجهزة التكييف للحفاظ على نسبة رطوبة وحرارة معتدلتين، وأحدث طرق محاصرة النيران لا سيما الغاز FM200 الذي لا يضر بصحة الانسان ولا بالمخطوطات، بل يقوم بمحاصرة النيران واطفائها. وفي حال كان الحريق كبيراً فلن تمتد النيران الى الخارج لأن الأبواب والجدران مصممة لهذه الغاية. أمكنة الحفظ تلك لا تتأثر بأي هزة أرضية لأن التصميم الهندسي تنبّه الى ذلك. هذا اضافة الى أن المواد المستعملة في الجدران كما في الرفوف وغيرها هي مصنّعة خصيصاً لتتناسب مع الحفاظ على تلك المخطوطات، ولن تتمكّن الحشرات من معاودة نشاطها في اتلاف الكتب، لأن كل شيء تمت دراسته لمنع تكرار تلك الحالات.

مهما أكثرنا في الحديث يبقى الجوهر وهو الحفاظ على الارثين الحضاري والديني، ولهذا نرى مجموعات كاملة كمجموعة الشيخ موريس الجميّل، أو أرشيف جريدة العمل، وغيرها من المجموعات والمنشورات والآلات القديمة التي استعملت في الحفاظ على التراث، ويستوقفنا مخطوط «بيبليا ساكرا» الذي هو عبارة عن انجيل نادر تم استقدامه من فرنسا، وقد كتب بسبع لغات قديمة.

ولن نعدّد أقسام المكتبة ككل. نكتفي بذكر مكاتب مساعدة لهذه المشاغل وهي العين الساهرة على وضع استراتيجية العمل والاتفاقات، وهي التي تجول لبنان وسواه لنبش ما كان وما تبقى من تراث مسيحي وماروني، كالمؤرخ ايلي الياس وسواه من فريق عمل هذا المكتب الذي يترأسه الأب مكرزل شخصياً ويشرف عليه، وكما يقول الأب مكرزل: «تمويلنا من الجامعة، ولم نمد اليد الا للموارنة في التمويل، ولكن ليتهم يعلمون أهمية التراث والحضارة اللذين ينتميان اليهما» ■

مخطوطات ومخطوطات